

دراسة التخميس^١ و أنواعه بوصفه قالباً أدبياً مشتركاً بين الأدبين الفارسي والعربي

على صابري*

ملخص المقالة

إن القوالب الأدبية بكونها وسيلة لتنظيم عناصر الأدب و سبباً للوحده العضوية في الأعمال الفنية قد نجدها كعنصر مشترك بين آداب الأمم المختلفة، و بما أن العلاقات الموجودة بين الأدبين الفارسي والعربي عريقة جدا بالنسبة إلى الآداب الأخرى فنرى هذه الصلات المتبادلة والقوالب المشتركة بينهما أوثق و أوسع منها بين الآداب الأخرى؛ و من هذه القوالب المتبادلة قالب التخميس الذي استخدمه الأدباء في الأدبين مشتركاً، رغم ما من خلاف فيه لدى الشعراء الفرس والعرب، و هو يعد أحد العلاقات المشتركة عبر العصور، كما أن كلا الأدبين يشتركان في عوامل ظهور هذا القالب و نشأته، و إننا عالجنه في هذا المقال بوصفه صلة من الصلات المشتركة بين الأدبين الفارسي والعربي.

الكلمات الرئيسية: القالب الأدبي، تطور الأجناس الأدبية، الصلات الأدبية، المسمط، التضمين.

1. cinquain

Dr_saberi_43@yahoo.com

*. عضو هیئت علمی دانشگاه آزاد اسلامی - واحد تهران مرکزی

المقدمه

إن ما لا يندر على أى دارس و أديب هو العلاقة الموجودة بين آداب الأمم المختلفة فى العالم. فالعلاقات الأدبية أو الصلات الأدبية^١ هى مصطلح يستعمل فى حيز الأدب المقارن ليشمل حركة الترجمة والتأثير والتأثر بين أديبين أو مؤلفين فى دولتين مختلفتين. كالصلات الأدبية بين الأديبين الهندى والفارسى فى العصر الساسانى، أو بين الفارسى والعربى فى العصر العباسى أو بين الإنكليزى والفرنسى فى الربع الأخير من القرن السابع عشر، و أقدم هذه العلاقات ترجع إلى ما بين الأدب اليونانى والأدب الرومانى.

فقد ازدادت هذه العلاقات فى القرون الأخيرة بسبب اتساع أفق الأدب إثر تحولات ثقافية مختلفة انتهت إلى تطورات أدبية مرتبطة بالتغيرات الاجتماعية، والسياسية، كاختراع وسائل المواصلات السريعة التى أصبحت أصرة قوية جعلت تهدم الحدود السياسية و تربط الأمم بعضها ببعض فى جميع أرجاء العالم و تحطّم النظرية القومية^(١) المحلية لتوجّه الفنّ والأدب و جهة إنسانية شاملة. و ظهور الطباعة فى ساحة نقل الفكر و نشر الثقافة، حيث جعل الحجم الكبير من الكتب فى متناول الناس و شجّعهم على دراسة آداب الأمم الأجنبية، و حملهم على الكشف عن كنوز الآداب القديمة و ما بينها من الصلة^(٢).

و نشر الجرائد والمجلات، التى كانت تحتل المرتبة الأولى فى النهوض بالشعب فى ثقافته و أدبه، و هى تعدّ من أقوى عوامل العمل الفكرى الذى يقدر على أن يجمع بين الناس فى شتى أنحاء العالم و يجعل العالم قرية صغيرة عالمية. و نشاط حركة الترجمة، بوصفها تطورا ثقافيا فى المجتمع الإنسانى، قد لعبت دورا عظيما فى نقل الثقافات و ازدياد الصلات الثقافية بين أمم العالم، و اطلاع الشعوب المختلفة على الآداب الأجنبية بنقل نصوصها الأدبية، كما ترجم، مثلاً، ابن المقفع كليله و دمنة إلى العربية و شاتو بريان^(٣) // الفردوس المفقود^٢ للشاعر الإنكليزى جون ملتون^٣ (١٦٧٤-١٦٠٨ م)، إلى الفرنسية.

1. literary relations
3. John Milton

2. Paradise Lost

فانتقلت الآثار الفنية والإبداعات الأدبية عبّر الترجمة إلى أمم أخرى. فبدأ الأدباء يشعرون بالتراث المشترك بين الشعوب العالمية و يتجهون نحو نزعة معروفة بالنزعة العالمية التي ترمي إلى اعتبار الإنسان أسرة واحدة، وطنها العالم، وأعضاءها أفراد البشر جميعاً، رغم اختلاف لغاتهم و انتمائهم إلى حدود جغرافية، من هؤلاء الأدباء فولتير^(٤) و روسو^(٥) و غوته^(٦) و هم أعلام الفكر والأدب في عصر النهضة الأوروبية^٢. (تراويك، ١٣٧٣ هـ. ش.: ٢/٨٧٥، التونجي، ١٩٩٩ م.: ٢/٨٣٤؛ وهبه، ١٩٩٤ م.: ٣٩٥)

و هذا هو الذي جعلنا ندرس هذه العلاقة الموجودة بين الأدبين الفارسي والعربي دراسة مقارنة، إلا أننا حدّدنا نطاق بحثنا في القالب الأدبي دون القضايا المشتركة الأخرى كالمضامين الأدبية و غيرها.

القالب الأدبي في رأي النقاد

إن ما يجدر بنا الآن قبل أن ندخل الموضوع الرئيسي هو أن ندرس القالب الأدبي و آراء النقاد فيه دراسة موجزة لتكون تمهيداً للموضوع المدروس.

إن القالب الأدبي^٣ أو النوع^٤ أو الشكل^٥ هو الطريقة التي يستخدمها الأديب ليصبّ فيها إبداعه، و يعبر بها عن الفكرة التي تدور في نفسه، و هو يشتمل على الصياغة اللفظية، والوزن، والقافية والمحسنات البديعية؛ فالقصة قالب أدبي، و كذلك الرواية، والمسرحية، والمقالة و... قوالب أدبية.

فقد كان هذا التقسيم معروفاً لدى النقاد منذ القديم، إلا أنهم كانوا يطبقونه، في الأغلب، على الشعر دون النثر.

و أول من اهتم به هو أرسطو، الذي قسم الشعر إلى ثلاثة أنواع: الملهمة^٦ والمأساة^٧ والملحمة^٨ ثم بيّن خصائص كل منها (أرسطو، ١٣٨٢ هـ. ش.: ١٢٠؛ دييجز، ١٣٧٣ هـ. ش.: ٥٦)

1. cosmopolitanism
3. literary form
5. literary king
7. tragedy

2. renaissance
4. literary type
6. comedy
8. epic

معتمدا على المنهج العلمي وجودي^(٧) أو المنهج المعياري^(٨).

و هذه القوالب أحيانا تختلف عند كل أمة باختلاف معاييرها، فإن القوالب الأدبية حسب تصنيف بعض النقاد هي: الغنائى^١، والمَلْحَمَى^٢، والتعليمى^٣، والتَّمثِيلَى^٤، الذى يشتمل على الملهاء والمأساة، كما نرى هذا التصنيف لدى النقاد العرب، يشمل فنَّ الخطابة^٥ وفنَّ الرِّسالة^٦ وفنَّ الشَّعر^٧ و... . أما الفرس فكانوا يصنّفونه حسب الشكل والمضمون إلى القطعة، والقصيدة، والغزل، والمثنوى و غيرها من الاشكال والمضامين.

غير أن هذا النظر إلى القوالب الأدبية قد تغير لدى النقاد المعاصرين حيث بدؤوا بتصنيف النثر، كما كانوا يصنفون الشعر، و هي المَسْرَحِيَّة^٨، والقِصَّةُ القَصِيْرَةُ^٩، والرِّوَايَةُ^{١٠}، والسِّيْرَةُ الترجمة^{١١}، والقصة^{١٢}، والحكاية^{١٣}، والحكاية الرَّمْزِيَّة / الخرافة^{١٤}، والحكاية على لسان الحيوان^{١٥} و غيرها. و مما ينبغى لنا أن ننتبه إليه هنا، هو أن الاعتقاد السائد فى الغرب، منذ عهد النهضة الأوروبية حتى أواخر القرن التاسع عشر، هو أن القالب الأدبى له قواعد خاصة لا بدّ للأديب أن يتقيد بها، وهذه القواعد هي طوابع يتميز بها كل جنس أدبى عما سواه، و ينبغى أن يظل منفصلا عن غيره، وهذا الرأى المعروف بالشكل الميكانيكى^{١٦} أو الشكل التقليدى^{١٧} يلائم أرا النقاد الكلاسيكيين الذين كانوا يلتزمون بالتقاليد الأدبية الشائعة فى الأديبين العريقين اليونانى والرومانى، التى أخذوها من الناقد اليونانى ارسطو^{١٨} (٣٢٢-٣٨٤ ق.م.) فى كتابه فن الشعر^{١٩}، والناقد الرومى هوراس^{٢٠} (٦٥-٨ ق.م.)، فى كتابه فن الشعر^{٢١}، و هؤلاء ينكرون تطور القوالب الأدبية و نموها بصرف النظر عن التطورات الاجتماعية والتاريخية.

- | | |
|--------------------------|-------------------|
| 1. lyric | 2. epic |
| 3. didactic | 4. dramatic |
| 5. elocution | 6. letter writing |
| 7. poetics | 8. drama/play |
| 9. short story | 10. novel |
| 11. biography | 12. story |
| 13. tale | 14. fable |
| 15. beast fable | 16. mechanic form |
| 17. conventional form | 18. Aristotle |
| 19. <i>Peri Poetikes</i> | 20. Horace |
| 21. <i>Ars Poetica</i> | |

إلا أنه ظهرت في القرن التاسع عشر ثورة على هذا الاعتقاد إثر ظهور نظريته التطورية^١، وخاصة بعد ما أظهر الناقد الفرنسي برونتيبير^(٩) نظريته المعروفة «تطور الأجناس الأدبية»^(١٠)، و يعتقد رواد هذه الحركة الأدبية أن الأدب ليس جامداً أبدياً كما قرر القدماء، وإنما هو كائن عضويّ حيّ يولد و يتطور و يموت، عبر التاريخ، بتطور الظروف الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية والنفسية، كما يدعى الشاعر الألماني فريدريش شليغل (ولك، ١٣٧٣ هـ. ش.: ١٥/٢ و ٣٥ و ٤٦)، و قد يبعث من جديد في شكل مختلف متأثراً بجنس آخر والمعطيات التي ينمو فيها.

و هذه الحركة المعروفة بالشكل العضوي^٢ كانت ثلاثم آراء رواد المدرسه الرومانتيكية^٣، الذين كانوا ينادون ترك محاكاة الأنماط القديمة و تحطيم القواعد التقليدية الكلاسيكية، و إطلاق الحرية للتعبير عن نفسه الكاتب تعبيرا صادقا. (راغب، ٢٠٠٣ م.: ١٨٦، ٣١٢، ٥١١؛ غنيمي هلال، ١٩٩٩ م.: ١٣٦؛ التونجي، ١٩٩٩ م.: ٣٣٢/١؛ وهبه، ١٩٩٤ م.: ١٠٩ و ١٤١؛ داد، ١٣٧٥ هـ. ش.: ٣٠٨؛ ميرصادقي، ١٣٧٣ هـ. ش.: ٢٤؛ ١٣٧٧ هـ. ش.: ١٨٥؛ شميسا، ١٣٧٨ هـ. ش.: ٣٦٠ و أنواع أدبي، ٢٤؛ رضايي، ١٣٨٢ هـ. ش.: ١٣٠)

إن «القالب» على أساس نظرية «التطورية» يحتل المرتبة الثانية في الأعمال الأدبية، إذ إن العمل الأدبي، من وجهة نظر أصحاب هذه النظرية، ينبت كبذرة و يتغذى بنواته و ينمو حتى يأخذ قالبه المناسب له و ينتهي الى وحدة أدبية معروفة بالوحدة العضوية^٤. (ديجز، ١٣٧٣ هـ. ش.: ١٨٠؛ التونجي، ١٩٩٩ م.: ٨٨١/٢؛ مقدادي، ١٣٧٨ هـ. ش.: ٥٩٩-٦٠١؛ غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٧٢ و ٣٧٣؛ رضايي، ١٣٨٢ هـ. ش.: ٣٥١؛ داد، ١٣٧٥ هـ. ش.: ٣١٤)

قالب التخميس و معانيه في الأدبين

أما القالب الذي نحن بصدد دراسته الآن هو القالب الشعري المعروف في الأدبين العربي والفارسي ب «التخميس» الذي يعدّ نوعاً من التطور في القالب الأدبي القديم الذي اعتاده الأدباء، و هو، و إن لم يكن خطوة نحو الإبداع الأدبي، غير أنه، في الحقيقة، و ثمة نحو تحطيم

1. evolutionism
3. romanticism

2. organic form
4. organic unity

نظريه الشكل الميكانيكي أو التقليدي والعرف الأدبي^١ في كلى الأدبين، الفارسي والعربي و حركة نحو التطور في القافيه المعتادة.

إلا أن التخميس قد يختلف معناه في الأدبين و قد يتحدّ فيهما، فيعالجه بحثنا هذا أولاً في معناه المختص بالأدب العربي دون الأدب الفارسي، و هو قالب شعري يتألف من مقطعات شعرية، في كل مقطعة منها خمسة أشطر تنفق القافية في الأربعة الأولى و تتغيّر في الشطر الخامس (ابن رشيق القيرواني، ١٩٨٨ م. : ٣٣٥/١) كالتخميس التالي من ديوان الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي (١٩٣٤-١٩٠٩ م.) (الشابي، ١٩٩٧ م. : ٢٠٦):

إلى البلبل

رَتَلِ التَّغْرِيدَ شَعْرِيَا عَلَى سَمْعِ الزُّهُورِ
وَأَثْرُكَ الرَّقَّةَ تَهْفُو حَوْلَ أَوْرَادِ الْعَدِيرِ
فَعَرُوسُ النَّهْرِ قَدْ هَبَّتْ بِنَاغِيهَا الْخَرِيرِ
وَتَصَبَّتْ نَسْمَةُ الْفَجْرِ الشَّعَاعَ الْمُسْتَطِيرِ
مِثْلَ هَقَافِ الْغُيُومِ السَّابِحِ

في ضحاها

إِنَّ الْحَانَ الظَّلَامِ أَثْرَهُ الْمُكْتَبَةِ
تَتَوَرَّى بِسُكُونٍ خَلْفَ تِلْكَ الْأَسْحَبَةِ
سَمِّمِ الْوَرْدِ أَيْنِ اللَّوْعَةِ الْمُنتَحِبَةِ
فَانشُدِ اللَّحْنَ رَخِيماً يَطْرِبُ الْكَوْنَ رَنِيمُهُ
وَادْفِنِ الْحَسْرَةَ فِي اللَّحْدِ الرَّحِيبِ
وَرُؤَاهَا

...

و هذه القافية تتكرر في كل شطر خامس، كالمخمس التالي الذي أنشده إيليا أبو ماضي

1. literary convention

(١٩٥٧-١٨٨٩م.) في رثاء أمين الريحاني (١٩٤٠-١٨٧٦م.) (أبوماضي، ١٩٩٩م. : ٢٤٣):

ما زال في الأرض حيا

أَيُّ خَطْبٍ دَهَا فَبَاتَ الْمَهْجَرُ مِثْلَ حَقْلِ مَرَّتْ عَلَيْهِ صَرَصَرُ
ضَرَبَتْ عَقْدَ زَهْرِهِ فَتَبَعَتْهُ وَ مَشَتْ فَوْقَ عُشْبِهِ فَتَنَكَّرُ

بَعْدَ أَنْ كَانَ عَبْهَرِيًّا نَدِيًّا

قَدْ سَمِعْنَا، يَا لَيْتَنَا لَمْ نَسْمَعْ نَبَا زَعَزَعَ الْقُلُوبَ وَ ضَعَّضَعَ
فَجَزَعْنَا، وَ حَقْنَا أَنْ نَجْزَعَ لِفِرَاقِ الْفَتَى الْأَدِيبِ الْأَلْمَعِ

وَ ذَرْفَنَا دَمْعًا سَخِينَا سَخِيًّا

...

و كذلك المخس التالي لخليل مطران (١٩٤٩-١٨٧٢م.) (مطران، لاتا: ٤١٢/٢):

الجنين الشهيد

أَتَتْ مِصْرَ تَسْتَعْطَى بِأَعْيُنِهَا النَّجْلُ وَ عَرَضَ جَمَالٍ لِأَيْقَاسٍ إِلَى مِثْلِ
غَرِيْبَةٍ هَذَى الدَّارَ بِأَدْيِهِ الذَّلُّ جَلَّتْ طِفْلَةً عَنْ مَوْطِنٍ نَاصِبٍ قَحْلِ

إِلَى حَيْثُ يُرْوَى النَّيْلُ بِاسِقَةِ النَّخْلِ

فَلَاخِيَّةٌ مَا دَرَّهَا تَدَى أُمِّهَا سِوَى ضَعْفِهَا الْبَادِي عَلَيْهَا وَ هَمِّهَا
وَ لَمْ تَتَنَاوَلْ مِنْ أَبِيهَا سِوَى اسْمِهَا وَ مَا أَحْرَزَتْ مِنْ أَهْلِهَا غَيْرَ يَتْمِهَا

وَ أَشَقَى الْيَتَامَى فَاقْدِ الْبِرَّ فِي الْأَهْلِ

...

أما التخميس في معناه المشترك في الأدبين فهو نوع من التسميط، والتسميط هو أن يقسم الشاعر شعره إلى مقطعات و يأتي بأبيات على قافية واحدة ثم يأتي بيت أو مصرع يخالف ما قبله في القافية و يعيد تلك القافية آخر كل قصيدة (ابن خلدون، ١٩٨٨م. : ٥٨٣؛ شمس قيس الرازي، ١٣٦٠ هـ . ش. : ٣٨٩) و هذه القافية المكررة تسمى «عمود القصيدة» (ابن رشيق القيرواني، ١٩٨٨

م. : ۳۳۴/۱) نحوالمسمط التالی من دیوان منوچهری (۴۳۲ هـ. ق) فی الأدب الفارسی (منوچهری دامغانی، ۱۳۷۵ هـ. ش. : ۱۷۹؛ همایی، ۱۳۶۱ هـ. ش. : ۱۷۲):

صبح نخستین نمود، روی به نظارگان	آمد بانگ خروس، مؤذن می خوارگان
روی به مشرق نهاد، خسرو سیارگان	که به کتف برگرفت، چادر بازارگان
قُومُوا شُرْبَ الصَّبُوحِ، یا أَبِهَا النَّائِمِينَ	باده فراز آورید، چاره بیچارگان
چاره ما بامداد رطل دمام بود	می زدگانیم ما، در دل ما غم بود
می زده را، هم به می دارو و مرهم بود	راحت کژدم زده، کشته کژدم بود
با دو لب مشک بوی با دو رخ حور عین	هر که صبحی کند با دل خرم بود

...

إلا أن التسميط لا يلتزم أن يكون مخمسا دائما، بل إنه قد يأتي مسدسا أو مربعا، نحوالمسمط التالی فی الأدب العربی:

و نَبْنِي كَمَا أَتَلَّوْا فِي الدُّوَلِ	نُمَجِّدُ ذِكْرِي الْجُدُودِ الْأَوَّلِ
إِذَا مَا مَشَيْنَا كَأَسْدِ الْعَرِينِ	و لَسْنَا نُبَالِي حُلُولَ الْأَجَلِ
و نَسْتَعْجِلُ الْخَطْبَ فَيَمْنِ طَعَى	نَهْبُ خِفَافًا لِيَوْمِ الْوَعَى
و عَادَ، بَغَيْرِ الْخَسَارِ الْمُبِينِ	فَمَا مِنْ عَشُومٍ عَلَيْنَا بَعَى

...

إلا أن للتسميط في الأدب العربي نوعا آخر يشبه التسجيع، وهو أن يقسم الشاعر بيته على أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد مخالف لقافية البيت في الرابع (التبريزي، ۱۹۸۶ م. : ۲۵۸؛ مطلوب، ۲۰۰۰ م. : ۳۱۸) نحو:

و عِلْجٍ شَدَّدَتْ عَلَيْهِ الْجِبَالَا	و حَرْبٍ وَرَدَّتْ وَ تُعْرِ سَدَّدَتْ
و ضَيْفٍ قَرَيْتَ يَخَافُ الْوَكَا لَا	و مَالٍ حَوَيْتَ وَ خَيْلٍ حَمَيْتَ

و قد يكون التخميس نوعا من التضمين^۱، في البديع، والتضمين هو أن يُضمّن الأديب كلامه بيتا أو شطرا من شعر شاعر آخر (أنوشه، ۱۳۷۶ هـ. ش. : ۳۷۲) كما ضمّن سعدى الشيرازی (۶۰۶-۶۹۰ هـ. / ۱۲۹۱-۱۲۰۹ م.) شعره بيتا من الفردوسی و قال:

1. implication/quotation

چه خوش گفتم فردوسی پاک‌زاد که رحمت بر آن تربت پاک باد
«میازار موری که دانه‌کش است که جان دارد و جان شیرین خوش است»
أو كما فعل صاحب بن عبدالمطلب القاني (٣٨٥-٣٢٦ هـ. / ٩٩٥-٩٣٨ م.) بقوله:

إذا ضاقَ صدرى و خفتُ العدى تَمَثَّلْتُ بَيْنَا بحالى يَلِيقُ
«فبالله أبلغ ما أرتجى و بالله أدفع ما لا أطيق»

إلا أن التخميس يختلف عن التضمين في أن الشاعر يضيف ثلاثة أشطر قبل صدر بيت من شعر شاعر آخر، أو بعبارة أخرى يلتزم الشاعر أن يضمن كل قسم من قصيدته شطري من قصيدة شاعر آخر (همای، ۱۳۶۱ هـ. ش. : ۲۱۲؛ أنوشه، ۱۳۷۶ هـ. ش. : ۱۲۳۴)، كما خمّس الشاعر غزل الشاعر الفارسي العراقي (حوالی ۶۸۸-۶۱۰ هـ. ق.):

مَه من نقاب بگشا ز جمال کبریایی که بتان فرو گذارند اساس خودنمایی
شده انتظارم از حد، چه شود ز در درآیی «ز دو دیده خون فشانم ز غمت شب جدایی
چه کنم؟ جز این نباشد گل باغ آشنایی»

چه کسم؟ چه کاره‌ام من که رسم به عاشقانت؟ شرف است آن که بوسم قدم ملازمانت
به کمینه استخوانی که برد هما ز خوانت «همه شب نهاده‌ام سر، چو سگان، بر آستانت
که رقیب در نیاید به بهانه گدایی»

...

(انظر غزل العراقي في ديوانه، ۱۳۷۶ هـ. ش. : ۲۰۶)

التخميس بهذا المعنى هو قالب شعري مستحدث في كلا الأدبين الفارسي والعربي، و لم يستخدمه الأقدمون (ابن خلدون، ۱۹۸۸ م. : ۵۸۳؛ الرافي، ۱۹۷۴ م. : ۳/۳۸۴؛ همای، ۱۳۶۱ هـ. ش. : ۲۱۲) و يمكن القول إن فضل التخميس ربما يعود، في الأدب العربي، إلى ابن داود المصري (۸۲۸ هـ.) الذي خمّس قصيدة كعب بن زهير (۲۶ هـ. / ۶۴۵ م.) المعروفة بـ«بانة سعاد»، و أنشد (المدني، ۱۹۹۶ م. : ۱۲۴):

قُلْ لِلْعَوَازِلِ مَهْمَا سِتُّمُوا قُولُوا فَلَيْسَ لِي بَعْدَ مَنْ أَهْوَاهُ مَعْقُولُ
نَادَيْتُ يَوْمَ النَّوَى وَالِدَّمَعُ مَسْبُولُ «بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ»

مُتِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدَ مَكْبُولُ»

...

أو كما خَمَسَ محمد بن عبدالقادر الواسطي (حوالي ۷۵۷-۸۳۸ هـ.) قصيدة البردة للبوصيري (۶۰۸-۶۹۶ هـ.) و أنشد:

يا هائِمَ القَلْبِ بَيْنَ البانِ والعَلَمِ و هَامِلَ الدَّمْعِ حَتَّى صارَ كالعَلَمِ
يا مازِجاً بالدِّمَا دَمْعاً على سَلَمِ «أَمِنَ تَذَكُّرِ حَيْرانٍ بذي سَلَمِ
مَزَجَتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ»
أَمْ مِنْ حَمائِمٍ فَوْقَ البانِ قائِمَةٍ مِنْ أرضِ نُعمانَ بالخَيراتِ عالِمَةٍ
لِفُرْقَةِ الأهلِ والأَطانِ هائِمَةٍ «أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ كاطِمَةٍ
و أومضَ البَرَقُ في الظُّلَماءِ مِنْ إِصمِ»

...

أو كالخَمَسِ التالِي للشيخ بهائي في الأدب الفارسي (الشيخ بهائي، ۱۳۸۲ هـ. ش. : ۱۶۶):

تا کی به تمنای وصال تو یگانه اشکم شود از هر مژه چون سیل روانه
خواهد به سر آید شب هجران تو یانه؟ «ای تیر غمت را دل عشاق نشانه
جمعی به تو مشغول و تو غایب ز میانه»

رفتم به در صومعه عابد و زاهد دیدم همه را پیش رخت راکع و ساجد
در میکده رهبانم و در صومعه عابد «گه معتکف دیرم و گه ساکن مسجد
یعنی که تو را می طلبم خانه به خانه»

...

فكما بيّنا في الصفحات الماضية، هذا القلب الشعري قد ظهر و نما في كلى الأدبين متأخرا بالنسبة إلى كثير من القوالب المعروفة فيهما، و لا يعرف بالضبط من هو أول من اخترع هذا الفن الجديد، إذ إنه لم ينشأ إلا بعد ما عنى الشعراء بالتراث القديم و أرادوا أن يحيوا التقاليد الشعرية و يقلدوا الشعراء القدماء في فنونهم الجميلة و أغراضهم القربية من النفس، لفقدان عناصر الابتكار والإبداع في الأدب، و استيلاء الجمود على قرائح الأدباء في مناخ،

حيث اتّجهوا نحو الصناعة والمعارضة، فأقبلوا على قصائد الشعراء القدماء و أضافوا عليها ما تقتضيه الأجواء الأدبية والظروف السياسية والاجتماعية التي عاشوها في تلك الفترة الزمنية، و سجّلوا نوادر بلاغية و أضافوا لبديعيات الشعراء الماضين قبسات كثيرة، ليبتكروا، إثر هذه العوامل، منهجا شعريا يُنحى الشعر نحو الاقتباس والتشطير والتضمين والتخسيس و غيرها مما يساعدهم على هذا الاتجاه الأدبي الذي يمكن لنا أن نسميه المحافظة والتجديد في الشعر في مناخ سادته الجمود والانحطاط، حيث لا يطمع الأديب في أدبه تطورا و لا يطمح الشاعر في شعره تغييرا، ليزعزع سلطان الجمود والتخلف الذي رسا في المرفأ الشرقي منذ زمن، و يبحث عن مرفأ جديد، و هذه الحركة الأدبية تعد جرأة و تمردا على التقاليد المعتادة، و ابتعادا عن الجمود. فإن التخسيس بكونه قالباً أدبيا مستحدثا، كغيره من الفنون المستحدثة، كالמושح، والدوبيت، حافظ على قواعد الإعراب، واقتصر على مخالفته التقليد في الأوزان والقوافي و دعا به حركة تدب في كيان الآداب الشرقية لإنشاء خطوة نحو التقدم والنمو والازدهار، و توسيع خريطة أساليب الكلام و طرق البيان و تعميق المعاني، فيمكن أن نعتبر هذا التطور في القوالب الأدبية الخطوة الأولى نحو نشوء حركة الصراع بين القديم والجديد، والنزاع بين الماضي البالي والحاضر الطريف، فأصبح ظاهرة من الظواهر الأدبية والثقافية في تلك الفترة التي سيطر عليها الخرافة والجهل. و إننا حاولنا أن ندرس هذه الظاهرة الأدبية في هذا المجال الضيق دراسة موجزة، يمكن توسيعها للآخرين.

الهوامش

١. النظرية القومية (nationalism) نظرية ترجع في الأدب إلى العلاقة العضوية بين الأديب و مجتمعه أو قومه أو وطنه، و هي تهتم بالمضمون القومي للعمل الأدبي أكثر من اهتمامها بشكله الفني. (راغب، ٢٠٠٣م. : ٥٠٠)
٢. يوهان جوتنبرج (Johnn Gutenberg) الألماني (١٤٦٨-١٤٠٠م) هو أول أروبي استخدم حروف الطباعة المنفصلة، و أنشأ مطبعة في بلدة «ماينز» (Mainz) مسقط رأسه، و طبع الكتاب المقدس المعروف بـ *Guttenberg Bible*، ثم أصبحت بلدته مركزا للطباعة. (دورانت، ١٣٧٨ هـ. ش. : ١٩١/٤)

٣. هو فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (Francois René de Chateaubriand) (١٨٤٨-١٧٦٨م)، كاتب فرنسي كبير، من اعلام الحركة الرومانسية، فاق ادياء عصره. من آثاره كتاب الشهداء (Martyrs) الذي صور فيه انتصار المسيحية على الوثنية، و رحلة من باريس إلى بيت المقدس (Itinéraire de Paris à Jérusalem) و مذكرات ماوراء القبر (Memories from Beyond the Tomb). (دورانت، ١٣٧٨ هـ. ش. : ٣٩١/١١)

٤. فولتير (François-Marrie Voltaire) (١٧٧٨-١٦٩٤م). فيلسوف و مفكر فرنسي، و كاتب و روائي، يعتبر أكبر رجال الفكر في القرن الثامن عشر.

٥. جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau) (١٧٧٨-١٧١٢م)، كاتب و فيلسوف فرنسي واسع الأفق، متعدد المعارف، ذو صلة وثيقة بالأدب و فنونه، و رائد للحركة الرومانسية الحديثة، من آثاره العقد الاجتماعي (The Social Contract/Social le Contrat) و إميل (Emile) (دورانت، ١٣٧٨ هـ. ش. : ٣/١٠). كان لآرائه أثر كبير في تطور الديمقراطية الحديثة.

٦. جوهان غوته / جوته (Johann Wolfgang von Goethe) (١٨٣٢-١٧٤٩م)، هو شاعر و فيلسوف ألماني، يعتبر أعظم الشعراء الألمان في جميع العصور و كذلك كاتب، و روائي، و مسرحي، من اعلام الأدب العالمي.

٧. المنهج العلمي وجودي أو الأنطولوجي (ontological method)، هو نوع من دراسه الوجود، يدرس الكائن الحي في ذاته مستقلا عن أحواله و ظواهره.

٨. المنهج المعياري (normative method)، هو منهج دراسي يحاول أن يضع قواعد صارمة للموضوع لا يمكن الخروج عليها.

٩. فرديناند برونيتير (Ferdinand Brunetière) (١٩٠٦-١٨٤٩م)، أستاذ تاريخ الأدب و النقد في مدرسه المعلمين العليا في باريس، عارض المذهب الطبيعي و الحتمية الاجتماعية في النقد، و انصرف إلى تأكيد التطورية (evolutionism) و تطبيقها في دراسه الأدبية.

١٠. تطور الأجناس الأدبية (evolution des genres)، نظرية قال بها برونيتير في كتابه المشهور تطور الأجناس الأدبية في تاريخ الأدب (L'évolution des genres dans l'histoire de la littérature) (١٨٩٤-١٨٩٠م)، متأثرا بنظريه التطور في علم الحياة، و نظرية داروين (Charles Robert Darwin) (١٨٨٢-١٨٠٩م)، عالم طبيعة بريطاني، صاحب النظرية الداروينية. (التونجي، ١٩٩٩م. : ٣٣٢/١ و هبه، ١٩٩٤م. : ١٠٩ و ١٤١؛ و انظر أيضا ولك، ١٣٧٣ هـ. ش. : ٢٦٠؛ راغب، ٢٠٠٣م. : ١٨٦)

١١. فريدريش شليغل (Friedrich Schlegel) (١٨٢٩-١٧٧٢م)، شاعر و ناقد ألماني.

فهرس المصادر

- ابن خلدون، عبدالرحمن. ١٩٨٨م. المقدمة. دار احياء التراث العربي.
- ابن رشيق القيرواني. ١٩٨٨م. العمدة في محاسن الشعر و آدابه. تحقيق محمد قرقزان. ط ١. دار المعرفة.
- أبوماضي، إيليا. ١٩٩٩م. الديوان. شرحه حجر عاصي. ط ١. دار الفكر العربي.
- أرسطو. ١٣٨٢ هـ. ش. فن شعر (Poetics). ترجمة عبدالحسين زرین كوب. ط ٤. طهران: امير كبير.
- أنوشه، حسن. ١٣٧٦ هـ. ش. فرهنگنامه أدبی فارسی. ط ١. سازمان چاپ و انتشارات.
- التبريزي، الخطيب. ١٩٨٦م. الوافي في العروض والقوافي. ط ٤. دار الفكر.
- تراويك، باكر ب. (Trawick Buckner B.) ١٣٧٣ هـ. ش. تاريخ ادبيات جهان (The World Literature) ترجمة عربعلی رضایی. ط ١. طهران: فرزاد.
- التونجي، محمد. ١٩٩٩م. المعجم المفصل في الأدب. ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية.
- داد، سيما. ١٣٧٥ هـ. ش. فرهنگ اصطلاحات أدبی. ط ٢. انتشارات مرواريد.
- دورانت، ويليام جيمز (Durant, William James). ١٣٧٨ هـ. ش. تاريخ تمدن (The Story of Civilization). ط ٦. منشورات علمی - فرهنگي.
- ديچز، ديويدي (Daiches, David). ١٣٧٣ هـ. ش. شيوه های نقد أدبی. (Critical Approaches to Literature). ترجمة محمدتقي صادقيان و غلامحسين يوسفی. ط ٤. منشورات علمی.
- الرازي، شمس الدين محمد. ١٣٦٠ هـ. ش. المعجم في معايير أشعار العجم. تحقيق محمد بن عبد الوهاب قزوینی. ط ٣. زوار.
- راغب، نبيل. ٢٠٠٣م. موسوعة النظريات الأدبية. ط ١. الشركة المصرية العالمية للنشر.
- الرافعي، مصطفى صادق. ١٩٧٤م. تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي.
- رضایی، عربعلی. ١٣٨٢ هـ. ش. واژگان توصيفی ادبيات. ط ١. فرهنگ معاصر.
- الشابي، أبو القاسم. ١٩٩٧م. الديوان. تعليق يحيى شامي. ط ١. دار الفكر العربي.
- شميسا، سيروس. ١٣٧٨ هـ. ش. نقد أدبی. ط ١. انتشارات فردوسی.
- الشيخ بهائي، محمد عاملي. ١٣٨٢ هـ. ش. الديوان. تحقيق سعيد نفيسي. ط ١. نشر زرین.
- العراقي، شيخ فريد الدين ابراهيم. ١٣٧٦ هـ. ش. الديوان. ط ٣. منشورات نگاه.
- غنيمي هلال، محمد. ١٩٩٩م. الأدب المقارن. ط ٣. دار العودة.
- مطران، خليل. لاتا. الديوان. طبعة جديدة. دار مارون عبود.
- المدني، ابن معصوم. ١٩٩٦م. تخميس قصيدة البردة. تحقيق حبيب آل جميع. ط ١. مؤسسة البقيع لإحياء التراث.
- مطلوب، أحمد. ٢٠٠٠م. معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. مكتبة لبنان.

- مقدادی، بهرام. ۱۳۷۸ هـ. ش. فرهنگ اصطلاحات نقد ادبی. ط ۱. منشورات فکر روز.
- منوچهری دامغانی. ۱۳۷۵ هـ. ش. الدیوان. تحقیق محمد دبیرسیاقی. ط ۲. منشورات زوآر.
- میرصادقی، جمال. ۱۳۷۷ هـ. ش. واژه‌نامه هنر داستان‌نویسی. ط ۱. کتاب مهناز.
- میرصادقی، میمنت. ۱۳۷۳ هـ. ش. واژه‌نامه هنر شاعری. ط ۱. کتاب مهناز.
- ولک، رنه (Wallek, René) ۱۳۷۳ هـ. ش. نظریه ادبیات (*Theory of Literature*). ترجمه ضیاء
موحد و پرویز مهاجر. ط ۱. منشورات علمی فرهنگی.
- وهبه، مجدی. ۱۹۹۴ م. معجم مصطلحات/الأدب. مکتبه لبنان.
- همای، جلال‌الدین. ۱۳۶۱ هـ. ش. فنون بلاغت و صناعات ادبی. ط ۲. انتشارات توس.